

تفسير البحر المحيط

@ 186 يتقدر أول خلق الله لأن أول خلق يستدي خلقاً ثانياً ولا يخلق ثانياً إنما ذلك إعادة لا خلق . . .

{ وَتَرَكَتُمْ مَّآ خَوَّسْنَا لَئِنَّكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ } أي ما تفضلنا به عليكم في الدنيا لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيراً ولا قدمتموه لأنفسكم وأشار بقوله : { وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ } إلى الدنيا لأنهم يتركون ما خولوه موجوداً . . .

{ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنزَّهُمُ فِيكُمْ }
شُرَكَاءُ { وقفهم على الخطأ في عبادتهم الأصنام وتعظيمها وقال مقاتل : كانوا يعتقدون شفاعة الملائكة ويقولون : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } ، و { فيكم } متعلق بشركاء والمعنى في استعبادكم لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوا شركاء فيهم وفي استعبادهم ، وقيل : جعلوهم شركاء باعتبار أنهم يشفعون فيهم عنده فهم شركاء بهذا الاعتبار ويمكن أن يكون المعنى شركاء في تخليصكم من العذاب أن عبادتهم تنفعكم كما تنفعكم عبادته ، وقيل : فيكم بمعنى عندكم ، وقال ابن قتيبة إنهم لي في خلقكم شركاء ، وقيل : متحملون عنكم نصيباً من العذاب . . .

{ لَقَدْ تَقَطَّطَّعَ بِيَدِنَاكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } قرأ جمهور السبعة { بِيَدِنَاكُمْ } بالرفع على أنه اتسع في الطرف وأسند الفعل إليه فصار اسماً كما استعملوه اسماً في قوله : { وَمِنْ بِيَدِنَا وَبِيَدِكَ حِجَابٌ } وكما حكى سيبويه هو أحمر بين العينين ورجه الفارسي أو على أنه أريد بالبين الوصل أي لقد تقطع وصلكم قاله أبو الفتح والزهرائي والمهدوي وقطع فيه ابن عطية وزعم أنه لم يسمع من العرب البين بمعنى الوصل وإنما انتزع ذلك من هذه الآية أو على أنه أريد بالبين الافتراق وذلك مجاز عن الأمر البعيد ، والمعنى : لقد تقطعت المسافة بينكم لطولها فعبر عن ذلك بالبين ، وقرأ نافع والكسائي وحفص { بِيَدِنَاكُمْ } بفتح النون وخرجه الأخفش على أنه فاعل ولكنه مبني على الفتح حملاً على أكثر أحوال هذا الطرف وقد يقال لإضافته إلى مبني كقوله : { يَفْعَلُ ذَلِكَ } وخرجه غيره على أن منصوب على الطرف وفاعل التقطع ، قال الزمخشري : وقع التقطع بينكم كما تقول : جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل انتهى . وظاهره ليس بجيد وتحريره أنه أسند الفعل إلى ضمير مصدره فأضمره فيه لأنه إن أسنده إلى صريح المصدر ، فهو محذوف فلا يجوز حذف الفاعل وهو مع هذا التقدير فليس بصحيح لأن شرط الإسناد مفقود فيه وهو تغاير الحكم

والمحكوم عليه ، ولذلك لا يجوز قام ولا جلس وأنت تريد قام هو أي القيام ، وقيل : الفاعل مضمَر يعود على الاتصال الدال عليه قوله : { شُرَكَاء } ولا يقدر الفاعل صريح المصدر كما قاله ابن عطية قال : ويكون الفعل مستنداً إلى شيء محذوف تقديره : لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم أو نحو هذا وهذا وجه واضح وعليه فسره الناس مجاهد والسدي وغيرهما انتهى ، وقوله إلى شيء محذوف ليس بصحيح لأن الفاعل لا يحذف ، وأجاز أبو البقاء أن يكون بينكم صفة لفاعل محذوف أي لقد تقطع شيء بينكم أو وصل وليس بصحيح أيضاً لأن الفاعل لا يحذف والذي يظهر لي أن المسألة من باب الإعمال تسلط على { مَّـا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } تقطع وصل فأعمل الثاني وهو وصل وأضمر في تقطع ضمير ما هم الأصنام فالمعنى { لَقَدْ تَقَطَّطَّعَ بِأَيْدِيكُمْ مَّـا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } وصلوا عنكم كما قال تعالى : { وَتَقَطَّطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } أي لم يبق اتصال بينكم وبين { مَّـا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } أنهم شركاء فعبدتموهم وهذا إعراب سهل لم يتنبه له أحد ، وقرأ عبد الله ومجاهد والأعمش { مَّـا * بِأَيْدِيكُمْ } والمعنى تلف وذهب ما { بِأَيْدِيكُمْ } وبين { مَّـا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } ومفعولاً { تَزْعُمُونَ } محذوفان التقدير تزعمونهم شفعاء حذفاً للدلالة عليهما كما قال الشاعر :